الاقتصادي الأمريكي دوغ كيسي: السعودية على حافة الانهيار وتداعيات عالمية على النفط والدولار

يؤكد دوغ كيسي أن الاستقرار الظاهر في السعودية يخفي ضغوطًا سياسية ودينية وديموغرافية واقتصادية متراكمة، وأن النظام الملكي السعودي يقترب من مرحلة شديدة الخطورة تتمثل في حرب أهلية أو ثورة أو غزو خارجي.

وتشكل الحرب اليمنية العامل الأساسي القادر على تفجير البنية السياسية القائمة، خصوصًا في ظل قدرة جماعة أنصار الله (الحوثيين) على استهداف منشآت النفط والمطارات والبنية التحتية الحيوية داخل السعودية، فضلًا عن تهديد الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب.

وفي هذا السياق، يوجه كيسي انتقادات حادة لسياسات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، مؤكدًا أن محاولاته لتحرير الاقتصاد وتقليص التشدد الديني الوهابي لم تمنع استمرار نقاط الضعف البنيوية داخل النظام، واصفًا استثماراته في المشروعات الكبرى بأنها فاشلة وغير اقتصادية وأدت إلى تبديد عشرات المليارات من الدولارات.

ويحذر التقرير من أن انهيار السعودية أو اندلاع نزاع داخلي فيها سيؤدي إلى اضطراب غير مسبوق في أسواق الطاقة العالمية، وارتفاع حاد في أسعار النفط، واضطراب حركة التجارة البحرية، وإضعاف الثقة بالنظام المالي العالمي المرتبط بالدولار.

أولًا: تقييم تكوين الدولة السعودية

يشكك كيسي في الصورة التقليدية للسعودية باعتبارها دولة مستقرة وثريّة، مشيرًا إلى أن آل سعود كانوا في الأصل عائلةً من بين عائلات وقبائل عديدة عاشت في شبه الجزيرة العربية، قبل أن يتمكنوا من بسط سيطرتهم على البلاد نتيجة علاقاتهم الوثيقة ببريطانيا خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

ويشير إلى أن تسمية الدولة باسم الأسرة الحاكمة أمر غير معتاد، ويعكس طبيعة النظام السياسي القائم

على هيمنة عائلة واحدة على الدولة والموارد والثروة الوطنية.

ويشير كيسي إلى أن السعودية تختلف عن كثير من الدول التي أنشأتها القوى الاستعمارية في إفريقيا وغرب آسيا، إذ يتشارك سكانها اللغة والدين والثقافة والهوية العامة.

لكنه يوضح أن معظم دول المنطقة تشكلت حدودها السياسية وفق ترتيبات وضعتها القوى الأوروبية، وأن الحربين العالميتين الأولى والثانية أدتا إلى إعادة رسم الحدود وتغيير أنظمة الحكم.

ولذلك يرى أن اندلاع حرب عالمية ثالثة قد يؤدي إلى إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط بصورة أوسع وأكثر جذرية.

ثانيًا: موقف الأسرة الحاكمة والنخب

يؤكد كيسي أن عشائر وقبائل وفئات اجتماعية واسعة داخل السعودية تشعر بالاستياء العميق من حكم آل سعود.

ويقدر عدد الأمراء السعوديين بنحو خمسة آلاف أمير، إضافة إلى شبكة واسعة من المقربين والتابعين الذين يسيطرون على عائدات النفط ويقومون بتخصيصها لمصلحتهم الخاصة، بينما ترفض قطاعات واسعة من السكان تبذير الحكام وفسادهم.

ويرى أن شرعية النظام تعتمد كليًا على توزيع الثروة النفطية وليس على بناء مؤسسات سياسية مستقرة ومستقلة، وأن بقاء النظام مرتبط باستمرار قدرته على السيطرة على الموارد وتأمين ولاء النخب ومنع ظهور تحالفات قادرة على تحدي الحكم المركزي.

ثالثًا: مسار الإصلاحات والمشروعات الكبرى

يتناول المقال توجهات ولي العهد الأمير محمد بن سلمان في مسارين رئيسيين:

- تحرير الاقتصاد وتقليل الاعتماد على النفط

- وتقليص نفوذ التشدد الديني الوهابي

ورغم اعتبار هذه الإصلاحات محاولة لإعادة بناء الدولة، يرى كيسي أن نتائجها فشلت عمليًا، خصوصًا في الجانب الاقتصادي.

ويهاجم الاستثمارات والمشروعات الكبرى المرتبطة برؤية السعودية المستقبلية، واصفًا إياها بأنها مشروعات ضخمة وغير اقتصادية تستهلك عشرات المليارات من الدولارات ذات طابع استعراضي بحت.

ويحذر من أن هذه المشروعات (مثل المدن المستقبلية والمناطق الاقتصادية العملاقة) لن تعالج المشكلات البنيوية، بل ستتحول إلى مصادر ضغط مالي وسياسي مع تراجع عائدات النفط أو تعرض المنشآت لهجمات واسعة.

رابعًا: الحرب اليمنية وتأثير الحوثيين

يصف كيسي الحرب بين السعودية والحوثيين بأنها نموذج فج للحرب غير المتكافئة؛ فالسعودية أنفقت مئات المليارات على شراء أسلحة متقدمة من الولايات المتحدة، غير أن هذه الأسلحة عجزت عن حسم الصراع ضد جماعة تعتمد على الصواريخ والطائرات المسيّرة والقتال غير النظامي.

ويؤكد أن التفوق التقني لم يتحول إلى انتصار سياسي، مستشهدًا بمقولة نابليون بأن «المعنويات تتفوق على القوة المادية بنسبة ثلاثة إلى واحد».

ويبرز قدرات الحوثيين على:

- استهداف منشآت النفط والمطارات والبنية التحتية الحيوية.

- تهديد الملاحة في البحر الأحمر وباب المندب.

- استنزاف القوات والموارد السعودية على مدى طويل وزعزعة الاستقرار الداخلي.

خامسًا: اليمن كمعضلة مزمنة للسعودية

يقدم كيسي اليمن باعتبارها واحدة من أفقر دول العالم وأكثرها بدائية، حيث تشكل التقاليد والانتماءات العشائرية والقبلية أهمية قصوى بالنسبة لمجتمعها، ويشير إلى أهمية الروابط القبلية، والزيادة السكانية الكبيرة، وأزمة المياه، والجوع، والفساد.

ويربط هذه الأوضاع بحرب غير متكافئة تخوضها السعودية ضد الحوثيين، الذين يسيطرون على غرب اليمن ويسعون إلى السيطرة على الحكومة.

فالسعودية، رغم إنفاقها الضخم على الأسلحة المتطورة، تواجه مقاتلين قبليين مسلحين في بلد فقير وشاب يعاني أزمات حادة؛ ويرى كيسي أن الجوع والعطش يدفعان إلى اتخاذ إجراءات يائسة، ثم يطرح احتمال أن يواصل الحوثيون الضغط على السعودية أو ينقلوا القتال إلى أراضيها.

سادسًا: انتقال الصراع إلى العمق السعودي

يتوقع كيسي أن يلجأ الحوثيون إلى نقل العمليات بشكل واسع إلى الأراضي السعودية للاستفادة من الكتلة البشرية الشابة الغاضبة والوضع المأزوم، معتبرين المملكة هدفًا استراتيجيًا ذا قيمة رمزية واقتصادية عالية.

كما سيواصل الحوثيون استخدام مضيق باب المندب كأداة ضغط وابتزاز سياسي واقتصادي، مع احتمالية إعلان مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية مع اتساع نطاق الصراع.

سابعًا: سيناريوهات مستقبل النظام السعودي

يؤكد كيسي أن السعودية تقف على حافة مجموعة من السيناريوهات الخطيرة تشمل:

1. حرب أهلية أو ثورة داخلية.
2. غزو خارجي وتفكك سياسي.
3. انهيار النظام الملكي واضطراب واسع داخل الأسرة الحاكمة.
4. تمرد قبلي واجتماعي ضد مركز السلطة.
5. أزمة اقتصادية طاحنة ناتجة عن تبديد الموارد.

ويصف الوضع بأنه على حافة الانفجار، ويختم كيسي تحذيره بالقول:

«ينبغي لمحمد بن سلمان وبقية زمرة الحكم التأكد من أن طائراتهم مزوّدة بالوقود للفرار سريعًا.»

“MBS and the rest of the ruling coterie should make sure that their jets are fueled for a quick getaway.”

ثامنًا: الآثار المدمرة على النفط والطاقة العالمية

ويشر كيسي إلى إن انهيار السعودية لن يظل حدثًا محليًا، نظرًا لتحكم المملكة بموقع مركزي في سوق الطاقة لامتلاكها احتياطيات ضخمة وقدرة استثنائية على إدارة توازن العرض والطلب.

وأي نزاع داخلي أو غزو سيؤدي إلى:

- توقف جزئي أو كلي للإنتاج وتعطيل مصافي التكرير وخطوط الأنابيب.
- قفزة هائلة في أسعار النفط وتكاليف الشحن البحري.
- ركود اقتصادي عالمي وتضخم مالي غير مسبوق يعجز المنتجون الآخرون عن تعويضه.

تاسعًا: باب المندب والبحر الأحمر

يمثل باب المندب نقطة خنق استراتيجية تتيح للحوثيين التحكم بحركة التجارة وناقلات النفط، مما يؤدي إلى تحويل مسارات السفن، وارتفاع تكاليف التأمين، وشلل سلاسل الإمداد بين آسيا وأوروبا، وتحويل النزاع الإقليمي إلى أزمة دولية مفتوحة على التدخلات العسكرية الغربية المباشرة.

عاشرًا: انعكاسات الانهيار السعودي على الدولار الأمريكي

يرتبط مستقبل الدولار ارتباطًا وثيقًا باستقرار النظام النفطي العالمي وتسعير النفط بالعملة الأمريكية.

وبناءً عليه، فإن انهيار المنظومة السعودية سيؤدي إلى:

- زعزعة استقرار النظام النفطي المرتبط بالدولار وتراجع الثقة به.
- دفع الدول الكبرى للبحث عن عملات بديلة في تجارة الطاقة.
- تصاعد الطلب على الذهب وتقلبات عنيفة بأسواق العملات.

- ارتفاع حاد بالتضخم داخل الولايات المتحدة وتسارع انهيار مكانة الدولار كعملة احتياط عالمية رئيسية.

خاتمة:

يخلص دوغ كيسي إلى أن السعودية ليست سوى «كارثة تنتظر الوقوع» (happen to waiting accident)؛ فرغم واجهتها المزدهرة، يعاني النظام من هشاشة بنيوية عميقة تتركز في استئثار آلاف الأمراء بثروات النفط وسط سخط واسع من العشائر والقبائل والمواطنين. د

ومع فشل مشاريع ولي العهد وتبديد عشرات المليارات، فإن حرب اليمن الجارية قد تكون الشرارة التي تسقط هذا الهيكل المتداعي بأكمله.

ومع التهديد الأوسع باندلاع حرب عالمية ثالثة قادرة على إعادة رسم خريطة المنطقة بجذرية أكبر، لم يبقَ أمام أركان الحكم سوى نصيحة واحدة حاسمة:

التأكد من أن طائراتهم مزودة بالوقود للفرار سريعًا (”make sure that their jets are fueled for a quick getaway”).